الزهرة التي تتفتح في المنفى

فوزي كريم

حين هرب السياب إلى الكويت المجاور للبصرة كتب، وهو يتطلع إلى حدود وطنه:
عراق ليس سوى عراق.....
الجواهري (طمح) في محافظة العراقي مناجاته:
حييت سفحك عن بعد فحييني، يا دجلة الخير...
البياتي يعلن في قصائد منافيه هذه النجوى، وهي أكثر حرارة ووجدانية في قصائد منافي سعدي يوسف. وكذا شأن هذه المحبة المرورة للوطن لدى أكثر من شاعر. ولكن قصائد السياب والجواهري والبياتي وسعدي وآخرين لم تكتب جميعاً في المنفى. فهناك قصائد مماثلة في العدد كتبت على أرض الوطن.
في قصائد شعراء الأجيال المتتابعة، قصائدنا، التي كتبت داخل العراق، داخل الرحم الطبيعي لميلاد القصيدة، لا تكاد تقع على ذلك الوجدان الحب الحار باتجاه الوطن!
لن تجد أغنية ندية، رضية، مستريحة، باتجاه السفح والنخل والنهر. باتجاه كل مفاتن الوطن.. وكأن هذه المفاتن لا تنفتح زهرتها أمام بصيرة الشاعر إلا حين يغادرها، مرغماً، إلى المنفى!
لم تكتب القصائد عن رائحة السمك، وأشواك سعف النخيل، والسعد في الشتاءات، وتلويحة ابنة الجيران فوق السطوح، ورائحة العرق الطافية مع الأسماك على جرف أبي نواس، ومعطف عبد الأمير الحصيري كراية يتامى، والسماء العميقة في قاع النهر: وفسيفساء الأجناس البشرية! أقول لم نكتب القصائد عن أرض وطننا حين يكون أحدنا على أرض غير أرضه؟ ولم حين يتمرغ بالوحل عليها لا ينشدها قصيدة حبه مع قيثارة في يديه؟ لأن هذا الوطن شديد القسوة مع أبنائه؟ أعني أن أبناءه شديدو القسوة على أنفسهم؟ وهم بفعل ذلك لا يلهمهم حضورهم فيه بقصائد الحب، التي يشعرها المصري وهو فوق أرض أم الدنيا، واللبناني وهو في أحضان جبل الأرز؟
إن القسوة الحاضرة مع رائحة التراب تجعل الشاعر العراقي يؤجل محبة التراب إلى حين. يؤجلها إلى مرحلة المنفى لتتفتح فيه. المصري يغني أرض مصر وهو عليها. غنائية أحمد شوقي تولدت بفعل رخاء الحب في أحضان من يحب. لم تكتب قصيدة من مصري عن حب مصر خارج حدود مصر. في حين لم يكتب الشاعر العراقي لوعة الحب هذه إلا من خارج الحدود. إن شعره ذو طبيعة هجائية على أرضه، وذو طبيعة محبة وغفورة بعيداً عنها.
ما علة ذلك؟ هل شغله حب العقيدة، عن حب وطنه؟ وحين يخرج إلى المنفى يخمد مصطرع العقائد، وتزهر من جديد تلك المحبة للسفح والنخل والنهر؟
لابد أننا نعرف أسباباً عدة!

"شبيه الخنزير" للروائي وارد بدر السالم

تشريح ميراث الخرافة والقمع

واحدة من روايات الواقعية السحرية السوداء ولكن بخصوصية عراقية

عمر شبانة

ربما يتذكر قراء الرواية العالمية أن عدداً من روايات العبث السوداء والفانتازيا قد نشأت في ظلال القمع والنازية والفاشية. كما يمكن أن نتذكر أن رواية أمريكا اللاتينية ذات الطابع الفانتازي أو الواقعية السحرية قد ولدت في ظلال القمع والقهر اللذين مارستهما أنظمة الحكم الفاشية ضد شعوبها، ولم تكن روايات ماركيز وماريا فارغاس يوسا سوى الذروة التي وصلتها تلك الرواية بتاريخها الأسود، فروايات مثل "البيت الأخضر" لفارغاس يوسا و"السيد الرئيس" لأستورياس، و"مائة عام من العزلة" و"الجنرال في متاهته" و"خريف البطريرك" وسواها لماركيز، وغيرها من روايات عالمية، استطاعت تشريح تلك الأنظمة وتفكيك بنيتها على نحو شديد القسوة موضوعياً، وبديع المهارة فنياً.
يذكر مثلاً أن حاكم "هايتي" دوفالييه قام بحملة للقضاء على الكلاب السود في البلاد لأن أحد أعدائه، وهو يحاول الهروب من مطاردة الدكتاتور له، عرف كيف يتخلص من طبيعته البشرية ويتحول إلى كلب أسود. ويذكر المترجم طلعت الشايب عن ماركيز قوله إنه بعد أن كتب "مائة عام من العزلة" ظهر في "بارانكيا" شاب اعترف أن في مؤخرته ذيل خنزير، ويقول ماركيز أيضاً "يكفي أن تفتح الجرائد التي تصدر في أمريكا اللاتينية لتعرف أن لدينا أشياء شديدة الغرابة تحدث كل يوم".
وفي عالمنا العربي نجد ما لا يحصى من روايات ولدت في ظل القمع وبسبب مباشر منه، فمن "تلك الرائحة" و"اللجنة" لصنع الله إبراهيم، و"السجن" لنبيل سليمان، و"شرق المتوسط" للراحل عبد الرحمن منيف، وصولاً إلى "سحب الفوضى" ليوسف ضمرة التي يقوم السرد فيها على لسان راوٍ ميت، إلى آخر ما في هذه اللائحة، نجد قائمة طويلة من الروايات التي جاء بعضها واقعياً، لكن بنيتها انطوت على قدر من الفنتازيا أو العبث. وكانت الفنتازيا، في وجه من وجوهها، القناع الذي يحمي الرواية من الرقيب القامع والتسلط.

في الحالة العراقية

ونتساءل اليوم، في ما يخص الحالة العراقية، كيف تعامل الكاتب العراقي، خصوصاً الذي بقي في العراق ولم يهرب من بطش السلطة، مع أزمة علاقته بتلك السلطة الحاكمة والدكتاتور المتسلط؟ وكيف نشأت في فترة حكم النظام السابق موجة من الأدب الرمزي الذي يتناول حال الإنسان في ظل ذلك الوضع من القهر والاستبداد والتسلط؟ وكيف لجأ الكتاب في الرواية والقصة والشعر إلى الفنتازيا كي يقولوا رؤيتهم لكل ما كان يجري خلال ذلك الحكم؟ وما الأدوات التي استخدموها ليقولوا مقولاتهم تلك التي لم تكن لتمر في ظل الحكم القمعي؟ هناك نماذج من السرد تناولت حال العراق وما آلت إليه، ضمن آليات رمزية أو فانتازية، أو الواقعية السحرية السوداء، أو يكفي القول بالواقعية السوداء، ويمكن اعتبار رواية "شبيه الخنزير" للقاص والروائي العراقي وارد بدر السالم أنموذجاً منها، فهو يلخص الحال كلها في حال المسخ، مسخ الكائن البشري إلى خنزير، أي أنه يذهب أبعد مما ذهب ماركيز.
منذ بداية الرواية يضعنا الراوي أمام مأساة امرأة تدعى سليمة، مأساة تقف نقيضاً لاسم "البطلة"، وتتمثل في اعتقاد أهالي القرية الذين سمعوا صراخ سليمة أن زوجها "لازم" (لنلاحظ رمزية اسم البطل أيضاً) قد مات، مات بعد أن قتلته أمراضه التي قاومها طيلة شتاء بارد وصيف حار. لكننا ما إن نتوغل قليلاً مع الراوي حتى نكتشف أن المأساة أكبر مما توقعنا أو توقع الراوي نفسه أو أهالي القرية الذين هبوا المساندة سليمة في مصابها، في صباح القرية الباكر. فبدلاً من أن يجدوا "لازم" ميتاً، وجدوه وقد انمسخ خنزيراً بسحر ساحر أو بقدرة قادر.
إنه المسخ الذي يذكر بـ"مسخ الكائنات" لأوفيد، أو مسخ كافكا. لكنه مسخ ذو خصوصية تنتمي إلى عالمنا وتراثنا وواقعنا العربي. حيث يتحول الإنسان إلى خنزير ليتخلص من عدوه، وحيث السلطات يمكن أن تحول العارض خنزيراً لتتخلص منه، ثم تقع ضحية براثنه.

أبعاد اجتماعية وسياسية للمسخ

القسوة والبشاعة اللتين تروى بهما حوادث الرواية وتبنى بهما شخصياتها تظهران من البداية أيضاً، وفي البداية تبدو مسألة انمساخ كائن بشري إلى خنزير مسألة تقف على الجوانب الإنسانية ذات الأبعاد الاجتماعية، لكن خاتمة الرواية، بل الجزء الثاني منها، يأخذها إلى الصراعات السياسية الحادة التي ستدمر القرية وأهلها، وتطيح بالزعيم شيخ العشيرة الذي يسقط بمخالب الخنزير، وبعد القضاء على الزعيم يلتقي لازم/ الخنزير وسليمة، وتبدأ رحلة لازم نحو بشريته، وكما في السطر الأخير من الرواية على لسان الراوي "كان واضحاً لنا أنه أخذ يتململ وأنه سيترك الجثة وينهض متعافياً ليعانق سليمة".
وما بين بداية الرواية التي أعلنت موت "لازم" والنهاية التي أعلنت قتله لزعيم العشيرة، تجري مياه روائية زخمة وهادئة حيناً، وصاخبة عاصفة حيناً آخر، يعرف الروائي والقاص المتميز والمعروف بقصصه ورواياته ذات النكهة الخاصة، نكهة الريف العراقي، يعرف كيف يفيد في بناء روايته من موروث شعبي محتشد بالخرافة والأوهام والعلاقة مع المرجعيات والأسياد ومراقد الأولياء الصالحين والمنجمين والساحرات، كما يعرف كيف يوظف بيئة القرية ومفردات البحر في عمل يبنيه على مرحلتين، القسم الأول "ترتيب الحكاية"، والثاني "شبيه الخنزير". ويضع في مقدمته مسرداً للألفاظ المحكية (العامية) يسميه "قاموس الرواية" لمن لا يعرف اللهجة العراقية.
القسم الأول الذي يحمل اسم "ترتيب الحكاية" يحمل اسم سليمة، وفيه سبعة فصول من الفزع، تبدأ بـ"فزع البط" و"فزع العشق" ثم "فزع العشيرة" و"فزع الجن" و"فزع الهور" و"فزع السلف" وأخيراً "فزع الإمام". أما القسم الثاني "شبيه الخنزير" فيحمل اسم لازم، وفيه سبع صيحات هي "صيحة الربيع" و"صيحة الغد" و"صيحة الضبع" و"صيحة البشن" و"صيحة الخوف" و"صيحة السلحفاة" و"صيحة الخنازير".

الرمزي والواقعي في الحكاية

المستوى الرمزي من "الحكاية" واضح تماماً، لكن براعة السارد تجعل من حدث انمساخ لازم حدثاً شديد الواقعية ومقبولاً تماماً أيضاً. فالحكاية "مرتبة" على نحو حاذق ومقنع، بدءاً بوصف ما آلت إليه شخصية لازم وما طرأ على جسده من تحولات خنزيرية، مروراً بكل الطقوس التي تتخذ لمعالجته وانتهاء بما صار عليه حاله بين خنازير آخرين لا نعرف من أين توالدوا. بل نعرف أن الظروف التي تعيشها القرية هي الرحم الذي تولد فيه خنزير لازم وسواه من الخنازير، وهو ما سيتبين خلال تحليلنا لعناصر أساسية في بنية هذا العمل الخطير.
نحاول أن نقف على الأسئلة التي تطرحها الرواية على قارئها: إذا كان لازم قد انمسخ فما الذي مسخه، أو من الذي مسخه، وما معنى هذا المسخ على المستويين الواقعي والرمزي؟ ولماذا أراده الكاتب خنزيراً بالتحديد وليس أي حيوان آخر؟ ولماذا كان هذا المسخ لرجل طيب في قرية طاهرة، كما يصفها الراوي، وكيف يمكن لقرية، أو لبلد ما، أن تتحول إلى قسمين، قسم هم الخنازير، وقسم آخر هم شيخ العشيرة وأعوانه وحاشيته؟ وإلى أي حد يمكن لهذه القرية، التي يتركها الكاتب بلا اسم، أن تمثل البلد (العراق) كله، وتغدو تمثيلاً رمزياً له بحكامه ومحكوميه؟
أحاول عدم الاكتفاء بقراءة ذات بعد واحد للرواية، هو البعد الرمزي فقط، وأن أفتح القراءة على أبعادها الواقعية، لنرى هذا المجتمع الروائي في واقعيته، وكما أراده الكاتب أن يكون وأن يعبر. فنحن أمام مجتمع يعيش في عالم الخرافة والطقوس الخرافية والدينية التي تشير إلى طائفة محددة بعينها، لكننا نعلم جميعاً أن هذه الطقوس تقابلها طقوس مماثلة أو مشابهة لدى طوائف وفئات أخرى. ولنبدأ أولاً بقراءة معطيات الحالة التي بلغها لازم.
في القسم الأول من الرواية، القسم الذي يضم حالات "الفزع"، نرى العشيرة وقد انهمكت في البحث عن حل لما وقع، لكن الحلول جميعاً تنضوي تحت باب السحر والعرافة والتداوي بالخرافة، وما من وسيلة أخرى للمعالجة. فمن استدعاء العجوز (ريشة) و(شاهين) والعطار (لقمان) وزهرة وحليمة وبثنة ودواي والبعاج و(السيد) ياسر، وصولاً إلى مرقد الإمام العباس قمر بني هاشم، كانت المحاولات الحثيثة للخلاص من هذا الوضع الذي وجدت العشيرة نفسها فيه، مستسلمة للقدر وما تعتقد أنه بفعل الجن والسحرة.

في عصور الظلام

يتضح من استعراض مادة هذا القسم، أن ثمة موروثاً هائلاً من الخرافة والمعتقدات الخرافية يبدو الناس معها وكأنهم يعيشون في قرون الظلام والتخلف، وهذا هو الجانب شديد الواقعية في هذه "الحكاية" التي يخبرنا الكاتب، في كلمة غلافها الأخير، أنها "حكاية ورواية وأسطورة، كتبها قدر أعمى.. ونفذها رجل متسلط.. وحملتها امرأة باسلة.. ورواها خنزير". ومع أن الكاتب يحدد مكان الرواية بـ"أهوار العراق"، وهذا التحديد يأتي من خارج النص الأول، إلا أننا نستطيع أن نجد مثيلاً له في غير مكان من وطننا العربي الكبير. وهذا ما يؤكده زمان الرواية كما يحدده الكاتب في قوله "الزمان: ماض وحاضر ومستقبل".
في هذا القسم نتنبه إلى خيوط قليلة تحيل إلى جذر المشكلة، وهي الخيوط المرتبطة بعلاقة سليمة وشيخ العشيرة، فقبل أن تتزوج لازم، كان شيخ العشيرة قد طلبها لتكون زوجته الرابعة، ورفضت طلبه وأصرت على لازم. وهنا نجد إشارات إلى دور شيخ العشيرة في مسخ لازم، وتحديداً دور أمه التي يقال إنها ساحرة، فمن هي سليمة لترفض هذا الطلب من الشيخ؟ وفي ما يتعلق بهذا الجانب هناك أسرار لا تبوح بها سليمة، بل تهدد الشيخ بها حين يأتي، في القسم الثاني من الرواية، ليطلب منها التخلي عن لازم. فما هي هذه الأسرار؟
هي غالباً أسرار الزعماء حين يطلبون، ولا يتوقعون رفض متطلباتهم وأوامرهم، لكن سليمة ترفض.
ومقدمات هذا الرفض في أساس هذه الرواية. فهي تقوم على رفض المرأة الزواج من الزعيم، شيخ العشيرة الذي لا أحد يرفض له طلباً، كما تقول العجوز والدة شيخ العشيرة. بل إن رفض سليمة يستمر عبر الإصرار على زوجها ووالد أبنائها، ثم يتطور هذا الإصرار على لازم عبر الصيحة الأولى، "صيحة الربيع"، التي تمثل أول لقاء جسدي بين سليمة ولازم منذ تحوله خنزيراً، هذا اللقاء الذي يبشر بعودة لازم بشراً من ناحية، لكنه يحيل إلى تحول سليمة نحو كينونة الخنزير من ناحية ثانية. لكن نهاية الرواية التي تبشر بعودة لازم البشرية تجعلنا نرى في قبول سليمة لهذا اللقاء الجسدي شوقاً إلى عودة لازم إليها.

صيحة الربيع والتحول

إن صيحة الربيع هي المفتاح لكل التحولات والتطورات التي ستقلب بنية الرواية من بنية سوداوية إلى عمل ينطوي على قدر من التفاؤل. لكن الأمور لا تقاس بالتفاؤل والتشاؤم، بل هي تتعلق بمقدار طاقة التغيير التي تشير إليها تحولات شخوص الرواية. حيث سيحتدم الصراع بين شيخ العشيرة وأعوانه (بطانته) من جهة، وبين من يساندون لازم من جهة ثانية، ومن يساندونه رغم "خنزيريته" يدركون سبب تحوله خنزيراً، لذا فهم يتصدون للزعيم الذي يصفونه بالحماقة وبأنه لا يرى سوى مصلحته وحاجاته دون مصلحة رعيته أفراد العشيرة.
نلاحظ بدءاً من "صيحة الربيع" أن القرية التي كانت متفقة على ضرورة معالجة لازم، وإن اختلفت على كيفية العلاج في بعض التفاصيل، قد انقسمت في القسم الثاني من الرواية، وباتت فريقين، فريق شيخ العشيرة الذي يطلب رأس لازم/ الخنزير الذي بات يخيف أهل القرية، إذ شوهد متجولاً مع مجموعة خنازير أخرى يطوف حول بيت "الزعيم"، كما يشيع هو وجماعته، وفريق آخر يرى في لازم ابن القرية الذي لا يجوز المساس به، بل إن هذا الفريق يخوض صراعاً مكشوفاً مع زعيمهم مهددين ومتوعدين إذا مس لازم.
ويصور السارد الصراع بين جيش من الخنازير تؤيده ثلة من أهل القرية، وبين ما يشبه "عصابة" يقودهم ويوجههم شيخ العشيرة، هذا الصراع الذي ينتهي بمصرعه. وبعدها نرى لازم وهو يحدق في النساء دون الرجال، بحثاً عن سليمة. وثمة إشارات كثيرة ستقود إلى لقائه بها، وإلى خلاص القرية ولو على أنقاض وجثث، فالمهم هو العبارة الأخيرة في الرواية التي تحدد حالة لازم الذي "بدا واضحاً أنه أخذ يتململ وأنه سيترك الجثة وينهض متعافياً ليعانق سليمة".
وهنا تعود إلى الواجهة أسئلة هذا الصراع، وما الذي أشعله، هل هو صراع رجلين على امرأة؟ أم أن أسباب الصراع كامنة في عقلية السلطة (شيخ العشيرة) وما يمثله من رغبة التملك والسيطرة؟
وما مسؤولية المجتمع حيال هذا الصراع؟ هذه أسئلة أساسية في الرواية، واعتقد أن الإجابة عليها تتطلب قراءات متعددة، ومن زوايا مختلفة، لكن الإجابة الأولية كما أرى تتمثل في هذا الميراث من العلاقة مع الخرافة والموروث الخرافي من جهة، والعلاقة مع أنظمة الحكم المتمثلة هنا في شيخ العشيرة من جهة ثانية.
فما ينطبق على شيخ العشيرة يمكن أن ينطبق على الزعيم الأبدي والخالد الذي نعرف نماذجه في حياتنا السياسية والاجتماعية.

الفراشة البيضاء

محمد سعدون السباهي

(إلى روح القاص نعمان مجيد)

منذ يومين متتاليين والجفن العلوي، لعيني اليسرى يرف بطريقة خبرتها بالتجربة، هي بمثابة رسالة في (البارسايكو) الغامض، المدهش، العجيب! تداهمني نذر شؤم لتقدم كارثة شخصية! وتحسباً لطوارئ عمياء، قللت خروجي من البيت، ومنعت أطفالي اللعب في الشارع، فنحن في حي يسكنه مقاول أمي، يكثر أبناؤه الخمسة وأزواجه الثلاث من قيادة سياراتهم الحديثة بطرق توقع الرعب والسخط والغضب معاً في قلوب الكثيرين..
أما وقد طال الأمر على سجن نفسي وأطفالي، ولأن من لا ينزل إلى الشارع، هذه الأيام مبكراً، متنكباً (هراوته!) يموت جوعاً، ظننت الرفيف الملعون، هذه المرة قد يكون من باب الأراجيف، أو الشد العصبي الذي أعيش فيه، شأن الجميع، سلمت أمري إلى الله وجرجرت بتوجس، بقايا جثماني..
ومثل كل يوم توقفت عند كشك يبيع الصحف، صاحبه يعرفني، ولذا فإنه يسمح لي من دون الآخرين، أن أتصفح ما أشاء من الصحف على الرغم من معرفته أنني لن أبتاع أياً منها طبعاً!.
وشأن جياع ملايين العراقيين التعساء، رحت أبحث عن كل ما له علاقة بأخبار، الحبيبة الصلعاء التي دخلت التاريخ تحت اسم: البطاقة التموينية، في بلد الثروات المتعددة، صحيفة.. صحيفة ثانية، فجأة سقطت الجريدة من يدي المهزيلتين! ووسط لغط الشارع، ودهشة المارة، عدت مسرعاً إلى بيتي، أولول بصوت رجل فارقه الشباب مبكراً، وقد طعن، هذه المرة في صميم قلبه المعطوب: إذن، كما في كل مرة، صدق الرفيف المتوحش في وعيده؟
مساء، كالعادة أعددت في باحة داري الموحشة مائدة طرد النحس الليلية، ملأت كأسه بمشروبه المفضل، ووضعته قبالتي.. تواً حامت فراشة بيضاء، بياضاً ساحراً حول المائدة، ثم حطت على حافتها القريبة من كأسه المترعة، وأخذت ترف بجناحيها كمن ترقص!.. طارت، وما هي إلا لحظات قصار، عادت وبمعيتها فراشة في مثل بياضها الأسر العجيب..
ورحت أتخيله يجالسني حقاً، كما اعتدنا سنوات عديدة، فعاتبته:
- "أراك عجلت في رحيلك! كان عليك الأخذ بنصيحتي: قليلاً من الركود في البيت، كثيراً من اللامبالاة، الحياة دار فناء، كما قالت العرب! أنظر كيف أن الذين أتعبت قلبك الحرير من أجلهم كثيراً، يأكلون، ويشربون، بل يضحكون أيضاً؟".
حرك رأسه موافقاً، وقال بمرارة:
- "لست نادماً، نحن جيل كتب عليه على نحو مبكر، الإلتزام بكل ما هو صحيح!".
وتابع وقد توسعت إبتسامته الأنيقة المعهودة:
- "أراك على خلاف ما عرف عنك! متشبثاً بالحياة؟"
- "بعد رحيلك وقعت أحداث خطيرة، وبات ديناً عليّ تدوينها، للقادمين قبل اللحاق بك.".
ضحك هذه المرة على غير عادته، ضحك بصوت عال، وطوح، جزعاً يديه الرشيقتين في الفضاء:
- "أية أحداث؟ وأي آخرين؟ صدقني كل شيء، نعم، كل شيء بما فيها الحياة ذاتها محض هراء!.."
صحت في رعب شديد:
- "وكتاباتنا التي أفنينا أجمل سنوات العمر من أجلها، في حين كان الآخرون يتشاجرون على ما هو يومي؟ والنساء اللواتي أحببناهن بجنون؟ والأبناء الذين أتعبونا كثيراً؟ والبيوت التي كم شقينا من أجل تأثيثها على نحو أفضل؟".
بالصوت العالي الساخر ذاته، قال:
- "أووه! عهدتك ذكياً! كل شيء، كل شيء، قبض ريح، وحفنة ترابا!".
وبما أبقت الديدان في عينيه الجميلتين حدق في صرامة بوجهي، وهمس في قسوة:
- "قم في هذه الساعة ونفذ أمنيتك العظمى!، التي طالما سخرنا منها، يوم كنا مأخوذين ببريق المدن الكاذب: العيش وحيداً، في كوخ صغير، وسط غابة بعيدة، أو الانتحار فالعالم لم يعد يليق بأمثالك!".
قلت في نبرة باكية:
- "يا صديقي النبيل، وعيت أخيراً أن الحياة خليط فج من مصادفات عمياء في معظمها وليست ألواحاً نظيفة يمكن أن نسطر عليها ما نريد ونتمنى!!".
- "نعم، إنها (الربع الخالي!)(1) متاهة شرسة، حدودها الكون كله!".
ومن دون أن أشعر كان الفراش الأبيض يتكاثر باطراد، وحين انتبه للأمر، إتضح أن الحديقة الجرداء قد غطتها أسراب غفيرة منه، وعرش الكثير على الجدران مضيفاً مشهداً غرائبياً، كالذي يحدث في بعض من حكايات (الف ليلة وليلة) لكن الغريب في الأمر، أن الفراش لم يدخل إلى البيت، حيث ظل مسمراً على الجدران الخارجية!
وتذكرت وأنا أتأرجح وسط لجة الحدث، ودوخان الثمالة، أمراً على جانب كبير من الأهمية في موضوعة التناسخ البوذية، سبق وتحدثنا بها، أكثر من مرة..
حين لملمت أطباق مائدتي الفقيرة لحملها إلى المطبخ، تحاشياً لمناكدات زوجتي، فوجئت أن كأسه الملأى، التي أقسم بكل ما أبقت صروف الزمان لدي من فضلة إيمان، أنني لم أمسها قط فوجئت أنها فارغة!!

(1) (الربع الخالي) رواية للفقيد تبحث في الإنسان الذي فقد الأمل في تحقيقه أحلامه الإنسانية، نشرها في حلقات في إحدى الصحف المحلية، قبل وفاته.

ثلاث قصائد

ثلاث قصائد

ثلاث قصائد

ياسين طه حافظ

خلوة

يسأل الناس: ما نفع هذا الغناء
وما يرتجي شاعر من غيوم السماء
ومن خلوات البساتين في الصيف
وأكواخها في الشتاء؟
ولماذا يعاف المدينة صاخبة بالحياة
ليجالس بعض الرعاة ويصحب في دربه الفقراء؟
أنا أبقى أحدق في زهرة الشمس
بيضاء
تناثر فرحانة في الهواء.

وردة الظفر

عجوز تلملم عند الجدار
وغصن تدلى،
سقطت من ذؤابته آخر القطرات
وعرفجة أعلنت بهجة بعد أن
سبحت بالمطر
وأنا مثل جرذ بهذا الممر:
كلنا
نتوحد في عالم واحد
ويسيرنا هاجس واحد
ونواجه ذاك القدر.
مجدنا كله:
بهجة العيش
أو،
وردة الظفر.

زهرية فارغة

هذه الشفرات التي تحرث العمر
وتحرث وجه الحياة
لا أفارق أشباهها في هروبي.
أمس واجهني شبح يرتدي قشرة الكوسج
أوقفني في الطريق
وشوه وجهي بنظرته الوحلة.
قيل لي: احترس من أولاء
فهم آلة الموت في الأزمنة.
ها أنا اليوم أغلق بابي
وأجلس وحدي هنا
صامتاً
مثل زهرية فارغة.